خاتمة... استخلاصات

أولاً: كأية ظاهرة سيسيولوجية لا يمكن اختزال نشوء الجبهة الشعبية واشتداد ساعدها، أو تفككها وتهميش دورها، وما بين هاتين المرحلتين من محاولات نهوض وتصفية، إلى عامل واحد، ولكن سياق الأطروحة جاء مصداقاً لكلمات أمينها العام جورج حبش (الحزب قيادته أولاً) وكلمات الرفيق جورج حاوي (الأخطاء الكبرى ليست أخطاء العناصر القاعدية والكادرات الوسيطة بل أخطاء القيادات)، وما ذهبت إليه رسالة قيادية للجبهة «بتوقف النجاح أو الإخفاق أولاً على هيئة الأركان، شأن أي جيش ثوري، فالذي يبنيه أو يهزمه هيئة الأركان أولاً، موهبتها، بصيرتها، كفاءتها، متابعتها، صلابتها، تعاطيها مع المصاعب، فهم الوضع الراهن، خطط عملها، معالجة التناقضات... فهي الطبيب، دواؤها يعالج أو يقتل المريض». وبالتالي فهي التي تستخرج السبل والوسائل الملائمة أو غير الملائمة في التعاطي مع الظروف الموضوعية.

ومحايثة ملموس الجبهة، في الوطن المحتل، مراحلها ومحطاتها وتجاربها، كما عرض النص، بالعبور من الظاهر إلى الباطن وترابط مكوناته، سواء محاولات البناء المتعثرة، وتغليب المظهر الفدائي حيناً، والمظهر «السياسي» حينا آخر، والانتفاض حينا ثالثاً، أو المزج بينها في مقاربة لمنظور ماركس «الممارسة تشمل كافة أشكال النشاط الاجتماعي»، و«الوحدة بين النظرية والممارسة»، في المرحلة الحلقية وكبواتها أو المرحلة الحزبية وتراكماتها، وما تخلل ذلك من أعمال ميدانية وأنشطة متنوعة، وأبعاد ثقافية وأيديولوجية وضربات اعتقالية تصفوية أو صمود بطولي في الزنازين وما نتج عن ذلك من استشهادات وتشوهات، إنما تقطع بالقول إن الشرط القيادي هو العامل الأول، في مسيرة الجبهة، وإن حضرت دائماً العوامل الأخرى المتصلة بالظروف الموضوعية المجافية: عامل ديموغرافي محدود، عدم تبلور البنية الطبقية، طبوغرافية تفتقد للجبال المستعصية والغابات، جغرافية ضيقة ومجزأة، ناهيكم عن احتلال تكنولوجي عنصري متقدم وجهاز أمن شرس إلى حد ارتكاب الاغتيال المأسس وعدم الاعتراف باتفاقية مناهضة التعذيب فأورث العديد من الأسرى الفلسطينيين عاهات دائمة...

في سنوات الاحتلال الأولى بعد ٦٧ تسللت عشرات الدوريات الفدائية وعشرات الكادرات القيادية، بما تحمله من عتاد، للوطن، وهذا ترك أثراً ايجابياً، على الداخل. ولكن ذبح «الثورة» في الأردن / أيلول ٧٠ وسكوت المدافع على الجهة المصرية اتصالاً بمشروع روجرز خلق بيئة مجافية زادت من مصاعب النضال في الوطن المحتل.